أتحبُّني !
رامايسير

أتحبّني

راما يسير

أتحبُّني !
رامايسير

أتحبّني ؟

إهداء إلى من رحلَ دون أن يودّعني وداعاً يليقُ بحبي فتركني ألوّح إلى الأبد ، إلى ذلك الشخص الذي حفرَ اسمه تحتَ جلدي، إلى الذي علّمني أن أكمل الطريق وحيدةً إلى ذلك العظيم الذي لا زلت أنتظر عودته ، إلى من أرتشف من عينيه قهوتي إلى البطل الذي لم يكمل قصته في الواقع فأكملتها أنا هنا ، أرجوك لا تتأخر فصغيرتكَ تائهة ، سأترك باب غرفتي مفتوحاً الليلة أرجوك أرسل طيفكَ لمواساتي

في شتاءٍ عابر منذُ أربعةِ أعوامٍ تقريباً ، حلّت عليّ لعنةٌ لطيفة ، ربما كانت لطيفة بعد عناءٍ طويل والكثير من المواقف التي لا أُحسد عليها ، لم يكن شتاءً عاديا ، كانت عواصفهُ بالنسبة لي أملاً ، وموسيقا أمطاره امتزجت مع موسيقا يعشقها قلبي ، لا تزالُ رائحة ذلك الشتاء في ذاكرتي كانَ الحبّ المعطف الدافئ في بردٍ قارس ، بعدَما أخبرتُ الجميع أن الحب كذبة اخترعها الجبناء ، وبعدما انتقدتُ جميعَ صديقاتي اللواتي وقعن في الحب ، فتبعثرَ قلبي بعيني أحدهم ، كان جميلاً جداً ، ملاكاً هارباً من الجنة ، بحضورٍ طاغٍ يزلزل كياني ، كانَ لطيفاً على قلبي كانَ كنسمةٍ هاربةٍ من الشتاء في يومٍ صيفيّ ، فهذهِ هي المرة الأولى التي أقعُ فيها بالحب، أخبرني أنّه يحبني دونَ أن ينطقَ بحرفٍ واحد فعيناهُ كانت كفيلةً أن تخبرني بذلك ، وصوت المغني المفضل لدينا ،ولكنّه اعترفَ لي بحبه في زايةٍ في أحدِ الشوارع العامّة ، أرسل لي أول رسالة في الساعة 8:33 مساءً في تاريخ 3/3 ، حضور الرقم ثلاثة يريحني فأنا أحب هذا الرقم كثيراً ، كان لطيفاً جداً معي ، حدّثني عن أبيهِ الذي توفى في العام ذاته ، كانَ كاتباً أيضاً ولكن بصراحة كتبهُ تثيرُ فضولي ، وحدثني عن أختهِ الوحيدة وهي تكبره بعامٍ واحد على ما أذكر ، وعن أمه الجميلة ، رأيتها مرتين غالباً ، كانت تملك عينان جميلتان ، ولكنّه لا يشبهها ، ولا أنسى اللهفة التي كانت تملأ حديثهُ عندما يحدّثني عن ابنةِ خالته ، كانت لطيفةً أيضاً ذات ملامحَ ملائكية ، والكثير الكثير عن طموحاتهِ المستقبلية ، كانَ يزرعُ في داخلي بذوراً من الأمل ، كان دائماً يخبرني بذلك الحديث الساذج الذي يقوله آلاف المراهقين بأنه سيسمي ابننا الأول باسم والده ، ولكنني لا أحبّ اسم والده حقيقةً ، لم يكن اسماً جزلاً كما أحب ، هذهِ هي

المرة الأولى التي أعترف بها بذلك ، كانت تغريني دائماً طريقة تفكيره الرائعة ، وتستفزني كتابته المليئة بالأخطاء الإملائية فهي تثير اشمئزازي ، وخاصةً كلمة (بحبيك) ياءٌ حمقاء زائدة ،تثير القرف ، وكانت لديهِ مشكلة عقيمة مع النون والتنوين وإشباع الأحرف يُشعرني أنّه يكتبُ كتابةً عروضية ولكن كنتُ أحبّه حقاً ، أخبرتهُ أنني أحبّ يوم الخميس لأنني ولدت فيه ويوم الثلاثاء فهو منتصف الأسبوع ، وأكره يوم الجمعة ، وأحبّ اللون الرمادي والخمري ، أحبّ أغاني فيروز جميعها ، كنتُ أقولُ له ساخرةً تخيل أن نفترق ونلتقي وأغني لك :(كيف انت ملّا انت) كما غنّت فيروز لابنها ، وأحببت أمّ كلثوم بعد عشقي له ، أكرهُ الصيف وأحبّ برد الشّتاء ، أحبّ دراستي بالرغم من تذمري المتكرر كانَ يسمعني باهتمام مع أنّ معظم المواضيع التي أخبره بها لا قيمةَ لها ولكنني أحبّ مشاركتهُ كل شيء ، لا أذكرُ يوماً أنه قاطعني وأنا أتحدّث عن جارتنا التي لا أحبها وعن ابنها الساذج ، وعن زوجةِ عمي وإظهار محبتها لي ، وعن أصدقائي في المدرسة والجامعة ، وعن ذكرياتي وعن أحلامي التي سمعها آلاف المرات ، وعن حبي للقهوةِ السادة ، وعن رأيي في أي موضوع كان ،وعن الحلوى اللذيذة التي صنعتها ، وعن دميتي التي أحب ، كان يجمعنا حبّ ورق العنب، والقهوة والكتب وصوت وائل كفوري وقصائد نزار قباني ، كانَ مهتمّا بأدّق تفاصيلي ، إلى أن انقلب الحال ، وبدأ يختفي شيئاً فشيئاً ، يمر أسبوع دون أن يصلني منه حرفاً واحد ، وتحوّل الاهتمام إلى شيءٍ ثمين أطلبهُ من بخيل ، وتحوّلت الوعود إلى سمّ يسري في شراييني ، أصبحَ غريب الأطوار ، وبعد آلاف الرسائل التي أرسلتها أجابَ برسالةٍ نصها : (بدي حكيكي المسا) ، أيضاً ياءٌ

زائدة حمقاء متطفلة ، ولكن هذه المرة لم أكترث بالياء بدأت الأفكار تتخبّط في رأسي الفارغ وأنا أنتظر أكادُ أموتُ نعساً ولكنّ فضولي لم يسمح لي بالنّوم ، فاتّصل في الرابعة صباحاً وقالَ كلماتٍ لا أذكرُ منها شيئاً وأنهى حديثهُ ب (بحبك) ، واختفى .. اختفى كحلمٍ قديم تلاشى مع رياح الخيبة ، هنا أدركتُ أن الحب كأس الحياة المرصّعِ بالألماس والمملوءِ بالسُّم ، رحل دونَ أن يودّعني وداعاً يليقُ بحبي ، أعلمُ أنّني لم أكن ملاكاً بأجنحة لقد كنتُ أرتكبُ بعض الحماقات أحياناً ، وأحياناً لا أفكر بالكلمات التي أقولها معتقدةً أنه سيفهمني حتماً ، كنتُ أخبره بأشياء تثير غيرته ، وأحياناً أقول أشياء غير آبهةٍ في معناها ، فيمطرُ غضباً ، ليتهُ يعلم كم كانَ جميلاً حين يغضب ، وقفتُ أنتظرُ طويلاً كانت السّماء هي الوسيلة الوحيدة لإرسال رسائلَ عتاب ، بعدَ ركضٍ طويل في غابات العبث ، باحثة عن خيط أمل لأخيط به روحي ، وقفتُ لبرهة حينها أدركتُ أنني أتوجه إلى الجحيم ، ولكن لماذا ؟

الحياةُ ستمضي رغماً عني ، لم يدرك مالذي فعلهُ بي ، تركني وحيدةً مع الكثيرِ من الأسئلة تركني وحيدةً أصارعُ أفكاري ، ولكن إلى متى ؟

تراهُ يذكرني ؟

أيفكّرُ بي كما أفكّر به ؟

انتشلتُ أحلامي من عمقِ الخيبة لأحققها ، لن ألعبَ دورَ الضحية مجدداً ، وأكملتُ في طريقي لم تكن الأيامُ كما أتمنى ، ولكن حاولتُ أن أصلَ إلى ذاتي كما أتمنى ، تعلّمتُ الكثير وصادفت الكثيرَ من النّاس ، بكيتُ كثيراً أيضاً ، ولكنني لم أنساهُ لبرهة ، كنتَ أرى ملامحهُ على وجوه العابرين ، أتخيل كيف سيكون لقائنا الأول إن التقينا ، سأخبره عن الأيام التي مرّت ، وعن أعظمِ إنجازاتي كتبتُ له كثيراً من الرسائل التي لن تصله ، وبعد ركضٍ طويل في ساحات الحياة دخلتُ إلى الجامعة ، فكانت نقلةً نوعيةً اختلفت الحياة تماماً هناكَ الكثير من الطلاب ، وأنا أعاني من الرّهاب الاجتماعي ، كنتُ وحيدةً ، ولم أكن أحب الذهاب وأيام الدّوام ، فهي تحزنني حقاً ، فلا صديقةَ لديّ أجلسُ وحيدةً مع أفكاري لنتبادلَ أطراف الحديث وأطراف الأحلام والتخيلات كنت حرةً في خيالي لا أخاف من أن ينتقدها أحد .

فعادت بي الوحدة والشوق ورائحةُ الشّتاء إلى محادثتهِ التي انتهت منذ عامينِ تقريباً كنتُ أتخيل كيف سيجيبني، هل سيذكرني ؟ ، أرسلتُ دونَ أن أفكر بالعواقبِ حتى ، ولكنّه لم يخيّب أملي ، لا يزالُ يذكر تاريخَ ميلادي ، وأصغر الأشياء التي أحبّها ، في ذلك اليوم عندما أخبرني أنه يحبّني أيضاً لم أستطع النوم ، بكيتُ فرحاً ، لم تسع الغرفةُ أجنحتي لا يمكنني نسيانُ مشاعري في تلك الليلة تحدّثنا طويلاً ، وأخبرتهُ أيضاً عن أصغر إنجازاتي ، فكانَ لطيفاً معي لم يتغيّر كما أحببتهُ أوّل مرّة وبعد أيام من حديثنا الذي لم أمل منه يوماً طلب أن نلتقي ، فقبلتْ هذهِ هي المرة الأولى التي سأراهُ فيها بعد عامين التقينا في يومِ الاثنين في الجامعة ، كان الجوّ ماطر وهو لا يشعرُ بالبرد ، وأنا أموتُ برداً مرّت ثلاثُ ساعات كأنّها ثلاثُ دقائق ، لا يزال جميلَ العينين أو ربما لا يزالُ قلبي ضعيفاً أمامهما تكلّمتُ كثيراً حينها كنتُ سعيدةً جدًّا ، وبعد عودتنا أخبرني أن عيناي جميلتانِ جداً ، وأخبرني أيضاً أنني لطيفة ، وأنهُ لا يملّ من حديثي ، وأنّهُ يحبّني ، كان يوماً عظيماً جدًّا ؛ مرّت أيامٌ ونحنُ على هذا الحال نتحدّثُ باستمرار ، لاحظ الجميع الابتسامة التي رُسمت على قلبي ، وكان انعكاسهُ لا يزالُ في عينيّ ظاهراً للعلن، كانَ يناديني (صغيرتي ، دلوعتي ، رموشتي ، فراشتي والكثير من الألقاب التي أحبّها) ، كنتُ أرفضُ أن نلتقي مرة أخرى ، فأنا التي أنتقدُ هذه المواعيد الغرامية ، فكيفَ لي أن أناقضَ نفسي ؟

وأكره الهدايا في هذه الفترة فترة ما قبل الخطبة فهي تعيدُ الذكريات الأليمة في حال افترقنا

كانت الغيرةُ تطغى على حديثهِ ، وكنتُ أخبره بأي شيء عشوائي أخبرهُ عن أدق التفاصيل ، فأنتظر المساء ؛ ليسألني سؤالهُ المعتاد : (كيف كان نهارك اليوم ؟) ، لم يكن سؤالاً فحسب ، بل كان دليلاً واضحاً على عظمةِ حبّه لي ، مرّت أيامٌ لن أنساها ، كانَ حقّاً كالحلم ، لم أجرّب الحب إلّا معه ولن أجرّبه بعدما اعتدتُ على الدّلال المفرط فمن سيعاملني مثله ، كان يحترمني تماماً وأنا على ثقة بفكرة أن جميع العلاقات الإنسانية مبنية على الاحترام المتبادل ، كنتُ أعشق يديه ولكنني لم ألمسهما ولو لمرّة واحدة ، وبعدَ أشهر مررتُ بظروفٍ كادت أن تنهي حياتي ، كنتُ على شفا الجحيم ، فلم أعد أستطع محادثته كالمعتاد ، فكانَ كثير العتاب محبّاً وعاشقاً كنتُ ألجأ إليهِ دائماً بالرغم من صغره ولكنّه على إطّلاعٍ بكلّ شيء ،كان يساعدني دائماً كانَ طيفهُ يربّت على كتفي ، ويحتضني دونَ أن أنطقَ بحرفٍ واحد ،فمرّت الأيام وتحوّلت الغيرة إلى شكّ والغيرة إلى مجزرة قد يرتكبها ،لم أكن راضية تماماً عن الذي يحدث إلى أن جاءت ابنةَ خالتي بكاملِ ثقتها وأرسلت لهُ من هاتفي رسائلَ تثيرُ غيرتَه وشكّهُ ، فرحل دون أن يرسلَ حرفاً واحد ، رحل وتركَ النّهاية مفتوحة على مصراعيها كقلبي المرهق ؛

ولكن لا تقلق أنا من سيكتب النّهايةَ هُنا ، أعلمُ أنّكَ لن تعتذر ، فالاعتذارُ يا عزيزي لن يرضي نرجسيتك ، أتذكرُ كم مرّة أخبرتني أنني نرجسية ، ولكن هذهِ حقيقتك التي لا ترضى البوحَ بها ، لنكن حقيقيينَ قليلاً فأنتَ تعتبر أنّ الحياة هي لونين فقط أبيضاً وأسود ، في الفريق الأبيض تضع من يخضع لرغباتك ويقول : أمركَ مولاي ، وفي الفريق الأسود تضع من يقول : لا ، لشيء ترغبُ فيه ، لا للون الرّمادي في حياتك ، إن كنتَ لا تثق بي لم أعطيتني قلبك ؟ نعم افترقنا ولكن يبقى السؤال : كيف انتزعتَ نفسكَ من أعماقي ، كيف جعلتني في ذاكرتك شيء لا يستحق التفكير ولا الالتفات ، لقد ترفّعتُ عنكَ يا حبيبي ليسَ تكبّراً بل كبرياءً لا لأني أزيدكَ أو لأنني أفضل منك بل لأنني ارتقيتُ فوق عقليتكَ المبتزلة لقد احترقت صورتكَ في داخلي ، فلا حاجةَ ، لي لرثائك ، فأنتَ لا ترثى .. أنت يُترفّع عنك يا شقيقَ الرّوح

أتذكر عندما قلت لك : أريدُ رسالةً بخطّ يدك ؟

أتذكرُ عندما قلتَ لي: أنا هنا عندما تحتاجينني وإن كنا متخاصمين ؟

أتذكرُ عندما وعدتني أنكَ ستخبرني الكثير يوماً ما ؟

أتذكر تلك الوعود الفاسدة التي كتبتها يوماً ؟

تذكر عندما كنتَ تقول أنني نرجسية ؟

أتذكر عندما كنتَ تغنّي لي ؟

أتذكر عندما كنتَ تناديني صغيرتي ؟

أتذكر عندما عاهدتني أنّك لن تعيدني وحيدة؟

أتذكر عندما أخبرتني أن الأب لا يترك طفلته وحيدة؟

أتذكر عندما عاهدتني أنّك لن تتركني لأفكاري ؟

أتذكر تلك اللحظة التي وعدتني فيها أن تساعدني في الوصول إلى ذاتي ؟

أتذكر أحلامي التي رسمناها معاً ؟

أتذكرُ محادثتنا الأخيرة عندما عدتُ لأبرر لك ؟ أتذكر كيفَ حطمتَ ذاكرتي حينها ؟

أتذكر القصص التي اخترعوها عنا ؟ كانت أجمل من الحقيقة

أتذكر عندما تعاهدنا أن نكمل قصتنا معاً ؟

أتذكر كم مرةً اسألك في اليوم (مودي أتحبني) ؟

.. أتذكرني؟

الآن لا أريدُ منكَ رسالةً بخطّك اللّعين ، ولا أريدكَ أن تقف أمامي فعينيكَ لم تعد تبعثرُ دقات قلبي ، لم أعد أكترث بتاريخ 3/3 من كلّ عام فلم يعد يذكّرني بشيءٍ إطلاقاً ، لم يعد ذلك الشّارع يعنيني أبداً ،ولكنّي أتمنى أن أحرقه ،سنلتقي يوماً وكم أتمنى أن نحتسي القهوة معاً للمرة الأخيرة ، أتخيلُ لقائنا بعدَ هذا البعد ، تراني سأقول : (كيفك انتَ ملّا انت) كما تخيّلتُ يوماً كنت أمزح لم أتخيل أن يتحوّل المزاح إلى حقيقة ، لو كنت أعلم ذلك كنتُ وعدتك أن أقول لك :(حبيبي دع الماضي وقبّلني) ولكن الآن لا يمكنني سوى قول :(ياحزني السعيد انتهينا وتودّعنا) ،أعتقد أن لحيتك ستكون قد اكتملت بعد هذه الفترة ، ولكن أرجوك اجعل شعركَ كما أحب وارتدِ معطفاً أسود امتزجت فيه رائحةُ عطرك مع سجائرك ، في هذا اللقاء ستدفنُ في عينيّ لأنهما آخرَ من سيراك وستموتُ بالطّريقةِ التي أحبّها ، لا تخف لن تُدفن يا شقيق الرّوح ، سأدعوكَ إلى عشاءٍ لن تنساه ، سأرتدي فستاناً أسوداً قصير ،ولن أقصّ شعري كما وعدتك ، ستجلسُ أمامي بكامل أناقتك ،وسأقول كل شيء تمنيتُ قوله بعد آخر محادثةٍ دارت بيننا كم كنتَ ساذجاً حينها وسأخبرك كم بدوتَ أحمقاً وكم أكرهك وكم تمنيتُ حينها أن أقتصّ منك ، وستشرب من نقيع وعودكَ الفاسدة سيكون مرَّ كقلبك ، ولكن لا تقلق مع القليل من كلمات الغزل سيصبح عسلاً ترتشفه ، سيسري السُم في جسدك ، وتثملُ من علقمِ الوعود ، سأضع كفي على وجنتيك التي طالما حلمتُ بلمسها وسأقول لك بصوتٍ شاحبٍ : أنا راما صغيرتكَ المدللة المترفة ، سأمسكَ بيدكَ للمرّة الأولى والأخيرة لنرقصُ معاً رقصةَ الموت سترقصُ حافياً على زجاجِ ذاكرتي المحطّم ستنزفُ قدماك ولكن لن تشعر ، ستصحو من ثملكَ معلّقاً على

مشانقِ الصّباح ستفتحُ عينيك لترى أنثى خرجت من الرّماد بجناحانِ من نار ستُحرَق بلهيبِ غضبي وتصبحَ رماداً تحت أقدامي وتطايرُ مع رياحِ العدم لن تخرجَ من هذهِ الغرفة إلّا رماداً يا شقيقَ الرّوح سأتلذذ برؤيتك تحترق كما تلذذت بكسر قلبي للمرّة الثانية و سأبقى وحيدةً كما كنت لن أبكي عليكَ صدّقني ، فأنتَ ميّتٌ لا محالَ ، فلم يبقى من قصتنا سوى اسمَينا يترددانِ في الصّمت

.. أحبك